وجوه الإعجاز القـرآنـي بين القدامى والمحدثين.

أ. فـــــرج عمر الحويج ـ طالب بمرحلة الدكتوراه ـ جامعة الزاوية
f.alhwaij@asmarya.edu.ly

Study Abstract

This research, entitled: (Aspects of the Quranic Miraculous between Ancients and Moderns), is a comparative study. It highlights on the miraculous nature of the Quran, the aspects of its miraculous nature addressed by scholars, and highlights of its miraculous aspects, which have been challenged since the beginning of the Quran's revelation. The research problem is: the failure of the Holy Quran or the Prophet Hadith to specify the aspect of the miracle in the Book of Almighty Allah (Quran) when it was revealed, as well as the disagreement of scholars in specifying the aspect of the miracle. Some of them believe that it is limited to the rhetorical miracle, while some of them went to the multiplicity of aspects of its miracle; due to the overlap of the remaining aspects of the miracle with each other, and the emergence of its new aspects.

The research aims to: list the aspects addressed by scholars, and scattered throughout their studies of the miracle, as well as study their statements and compare them, while comparing the opinions and statements of ancient scholars with modern ones. As for the method followed in presenting this research: it is based on the descriptive, inductive, comparative method. The most important results of this study were: The search for the aspects of the miracle in the Book of God Almighty is based on the scholars' study of this miracle, according to a precise analysis of its issues. The aspects extracted from it are not merely personal opinions or following one's whims, so that this aspect can be accepted because it is based on a deep understanding of the Holy Quran.

The Holy Quran is miraculous in several ways, and the rhetorical miracle remains the secret of the Quranic miracle, manifested in its eloquence, fluency, and organization. The remaining miraculous aspects are nothing but conclusive evidence of the divine nature of the Holy Quran and the truth of the final prophets hood of Muhammad (Mohamed). The aspects that modern scholars have presented, in reality, do not go beyond what the

ancients established as a whole. They, the modern scholars, are dependent on their predecessors in understanding those miraculous aspects.
Keywords: Miraculous, Ancients, Moderns, Miracles' Aspects

الملخّـــــص:

هذا البحث الموسوم بـ: (الإعجاز القرآني ووجوهه بين القدامى والمحدثين) دراسة مقارنة، يسلط الضوء على إعجاز القرآن الكريم، وأوجه الإعجاز التي تناولها العلماء، وإبراز الوجه المعجز منها، والمُتحدى به منذ بدء نزول القرآن، وتتمثل مشكلة البحث في: عدم تحديد القرآن الكريم أو النبي - صلى الله عليه وسلم - وجه الإعجاز في كتاب الله تعالى عند نزوله، وكذا اختلاف العلماء في تحديد وجه الإعجاز، فمنهم من يري أنه مقتصر على الإعجاز البياني، بينما ذهب بعضهم إلى تعدد وجوه إعجازه؛ بسبب تداخل بقية وجوه الإعجاز مع بعضها، وبروز وجوه جديدة فيه. ويهدف البحث إلى: حصر تلك الوجوه التي تناولها العلماء، والمتفرقة في ثنايا دراساتهم للإعجاز، وكذلك دراسة أقوالهم والموازنة بينها، مع مقارنة آراء وأقوال العلماء القدامى بالمحدثين. وأما المنهج المتبع في عرض هذه البحث: فهو يقوم على المنهج الوصفي الاستقرائي المقارن. وكان من أهم نتائج هذه الدراسة: أن البحث عن وجوه الإعجاز في كتاب الله تعالى مبني على دراسة العلماء لهذا الإعجاز، وفق تحليل دقيق لمسائله، إذ لم تكن تلك الوجوه المستخرجة منه محض رأي شخصي، أو اتباع لهوى النفس، بحيث يمكن قبول ذلك الوجه؛ لأنه قائم على فهم مُعمَّقٍ للقرآن الكريم. وأن القرآن الكريم مُعجزٌ بعدّة وجوه، وأن الإعجاز البياني يظل هو ســرُّ الإعجاز القرآني، مُتجلّيًا في بلاغته، وفصاحته، ونظمه، وأنَّ بقيَّة الوجوه المعجزة الأخرى، ما هي إلا شواهد دامغة على ربّانيَّة القرآن الكريم، وصدق النبوة المحمدية الخاتمة، وأن ما أتى به المُحدثون من وجوه -في الحقيقة- لا يجاوز ما قرَّره الأقدمون في مُجملهم؛ فهم - المُحدثون- عالةٌ على سابقيهم في تفهّم تلك الوجوه المُعجزة.

الكلمات المفتاحيـــــة: الإعجاز، القُدامى، المُحدثين، وجوه الإعجاز.

المقدمـــــــــة :

كان كتاب الله - تعالى - محط أنظار العلماء والباحثين عبر التاريخ، فمهما تعددت الدراسات القرآنية حوله، إلا أنه لا يزال يحمل في طياته الكثير من الأسرار التي تنتظر الكشف، فهو كنز معرفي لا ينضب، متجدد دائم بالبحث فيه، لا تنتهي عجائبه،

ولا تقل عظمته، وهو يتطور مع تطور العلوم والمعارف، ويظل مصدر إلهام وإعجاب لكل من سلط نظره وقلمه وفهمه له. لذا اختلفت آراء العلماء بين القدامى والمحدثين في تحديد جوانب الإعجاز القرآني، حيث نشطت هذه الجهود البحثية في تتبع الظواهر اللغوية؛ في سبيل فهم أسرار هذا الكتاب المعجز، والكشف عن وجوه جديدة من إعجازه، ومحاولة الوقوف على إحكامه المعجز، فلقد تناول جلة من العلماء هذا الموضوع من عدة زوايا مختلفة، مما أدى إلى تنوع في وجهات النظر والمناهج في دراسة النص القرآني المعجز الخالد، وفي هذا السياق يأتي هذا البحث ليلقي الضوء على هذه التنوعات، متمثلا في الوقوف على مفهوم الإعجاز ووجوهه، بالمقارنة بين العلماء القدامى والمحدثين في دراستهم لهذا الإعجاز، الذي أدى بهم إلى فهم أعمق وأشمل للقرآن الكريم.

مشـــكلة البحث وتساؤلاته:

إنّ عدم تحديد القرآن الكريم أو النبي- صلى الله عليه وسلم - وجه الإعجاز في كتاب الله تعالى عند نزوله، أدى إلى اختلاف وتباين وجهات النظر بين العلماء القدامى والمحدثين في تحديد وجه الإعجاز القرآني، واتفقت آراؤهم في بعضها الآخر، فمنهم من يري أنه مقتصرٌ على الإعجاز البياني، بينما ذهب بعضهم إلى القول بتعدّد وجوه إعجازه؛ بسبب تداخل بقيّة وجوه الإعجاز مع بعضها، وبروز وجوهٍ جديدةٍ فيه. فهل من الممكن الجمع بين تلك الاختلافات والاتّفاقات لتعزيز فهم أعمق وأشمل للإعجاز القرآني في ضوء المعرفة الحديثة؟

أهـــــداف الدراسة:

1- حصر وجوه الإعجاز في كتاب الله تعالى التي تناولها العلماء القدامى والمحدثون، والمتفرقة في ثنايا دراساتهم للإعجاز.
2- دراسة أقوال السابقين والمحدثين والموازنة بينها.
3- مقارنة آراء وأقوال العلماء القدامى بالمحدثين.

أهمية الدراســـــة:

1- تعزيز الفهم الشامل للإعجاز القرآني.
2- تسليط الضوء على أهمية الإعجاز القرآني في فهم القرآن الكريم وتفسيره.
3- المساهمة في تطوير الدراسات القرآنية.

4- الكشف عن جوانب جديدة في الإعجاز لم تكن معروفة من قبل.
5- الكشف عن معان جديدة للقرآن الكريم، من خلال دراسة وجوه إعجازه.

الدّراسات السابقة:

1- لم أقف على بحث له صلة وطيدة وتشابه كبير بموضوع بحثي إلا هذا البحث، وكان بعنوان: (وجوه الإعجاز القرآني؛ دراسة تاريخية تحليلية)، للباحث: فاخر بن بريكان القرشي، نشر بمجلة العلوم الإسلامية الدولية، جامعة المدين العالمية، ماليزيا، المجلد: 7، العدد: 1 (2023م). حيث اطلعت على ملخصه الذي جاء فيه: أن الباحث قام بحصر وجوه الإعجاز عند العلماء حسب الترتيب التاريخي، محللا وجوهه، ومناقشتها، والموازنة بينها، ومحاولة الوقوف على وجوه جديدة في الإعجاز القرآني، مع بيان الموقف منها.

2- بحث بعنوان: (جهود العلماء المحدثين في بحث إعجاز القرآن الكريم)، من إعداد: محمد يعقوبي خبيزة، مجلة دعوة الحق، العدد 323، جمادى الآخر، 1417هـ، نوفمبر 1996م. وموضوعها بعيد عن موضوع دراستي، فقد قسمها إلى مبحثين: الأول: ظروف انبعاث حركة البحث في إعجاز القرآن الكريم، والثاني: لنزعة العلمية في بحث إعجاز القرآن الكريم، والثالث: النزعة الأدبية في بحث إعجاز القرآن الكريم.

منهج البحث:

يقوم على المنهج الوصفي الاستقرائي المقارن.

خطة الدراسة:

قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة ومبحثين، فحوت المقدمة على: مشكلة الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث. المبحث الأول: مفهوم الإعجاز، ويحوي مطلبين، المطلب الأول: مفهوم الإعجاز عند القدامى، المطلب الثاني: مفهوم الإعجاز عند المُحدثين. المبحث الثاني: وجوه الإعجاز، ويحوي مطلبين: المطلب الأول: وجوه الإعجاز عند القدامى، المطلب الثاني: وجوه الإعجاز عند المُحدثين. وخاتمة حوت: نتائج البحث.

المبحث الأول ــ مفهوم الإعجاز

مفهوم الإعجاز: الإعجاز في اللغة: هو ما كان مأخوذًا من العجز، فالعجزُ أصله: هو التّأخّر عن الشّيء، وهو ما يأتي ضدّ القدرة على الشيء [1]، والعجز بمعنى: الضّعفُ،

وذلك عند قولك: عجزتُ عن كذا، أعجزُ، والمعجزةُ: على وزن مُفعلةٌ، وهي من العجز، بمعنى: عدمُ القدرةِ على الشيء، وقولك: أعجزَه الشّيء: أي: عجزَ عنهُ، ولم يقدر عليه، والمقصود بالإعجاز هنا بمعنى: السَّبقُ والفوْتُ، وذلك كما يقال: أعجزَني فلانٌ، أي: فاتني، وسبقني [2]

أما في الاصطــلاح: يكون الإعجازُ: في الكلامِ، وهو أن يُؤَدَّى المعنى بطريقٍ هو أبلغُ من جميعِ ما عداه من سائر الطّرقِ [3] وهو فقدان القدرةِ عنِ الإتيانِ بالشّيءِ، من إنجاز عملٍ، أو اتخاذ قرار، أو تدبيرٍ بشكل فعال [4]

ومن هنا يتّضحُ من كِلا التّعريفيْن أنّ الإعجازَ على هذا هو: الفَوْت والسَّبْق، وعليه فإنّ العجزَ الذي هو الطّرفُ الآخرُ للإعجازِ وهو الذي يدلّ على التأخّر؛ بسبب قوّةٍ في المتقدّم، حيث تفوّق المتأخّر في الصّفات والأفعال، لهذا فالمتقدّم معجِزٌ وهو كلام الله، والمتأخّر عاجِزٌ ككلام البشر، وغيرهم.

ومنهم من عرّفها بأنّها: الأمر الخارق للعادةِ، والمقرون بالتّحدي، السالم عنِ المعارضةِ، والمعجزة تكون إمّا حسّيَّةٌ، وإمّا تكون عقليَّةٌ [5]، وهو أهمُّ عنصرٍ في المعجزةِ؛ لكونُها مخالفةً للعادةِ، ناقضةٌ لها. وهي دليل قاطع على القوة الإلهية التي لا يمكن دحضها، ولا معارضتها.

وفي هذا يرى الباقلاني [6]أن الإعجاز القرآني لو لم يكن إلا سورة واحدة لكفت في الإعجاز، فكيف بالقرآن العظيم كله؟ ولو لم يكن إلا حديثٌ من سورةٍ واحدة لكفى، ولأقنعَ العقول، ولشفى من الأسقام [7]

ويرى القاضي عبد الجبّار [8] أن معنى قولِك: القرآنُ معجِزٌ: من أنّه يتعذّرُ على المتقدّمينَ في الفصاحةِ فعلَ مثلِه في القدَرِ الذي اختُصَّ به، وامتاز به عن غيره [9]

لذا فإنَّ معرفةَ معنى إعجازِ القرآنِ، وماهيته، وكينونته؛ يعدُّ أمرًا لا غِنَى عنهُ لأي مسلمٍ ودارسٍ، وكان شأنُه عظيما، بحيث لا يُخاضُ فيه بلا تثبُّتٍ من معناهُ، ومن غير تمكُّنٍ من تاريخِه، وتتبُّعٍ لآياتِه الدالَّةِ على حقيقتِه [10]

وممّا تقدّمَ يتّضحُ أنَّ المقصودَ الحقيقيَّ بالإعجازِ ليسَ هو المتمثّلُ في الصّياغةِ الأدبيّةِ فقط، وإنّما المضمونُ – أيضًا- ، والذي هو قطعًا من الغيبيّاتِ.

المطلب الأول ـ مفهوم الإعجاز عند القدامـــى:

كان انتشار رُقعةِ الإســلام، ودخول غير العرب فيه، سببًا في احتياج المسلمين إلى شرح الآيات وتفسيرِها، كما اعتُبِرَ أمرًا ضروريًّا لمن ليس لهم صلةٌ مباشرةٌ بالعربيّة، فظهر تفسير غريب القرآن، ومعاني آياته، واستخلاص أحكام الشّريعة منه.

ومن ثمّ فإنّ الاهتمامَ بجانبِ الإعجازِ برزَ في نهايةِ القرنِ الهجريّ الثّاني، وبدايةِ القرنِ الثّالث، وتحديدًا بعد ظهور علمِ الكلام، حيث اشتد الجدل والخلاف بين المسلمين، وذلك بعد ما جُعلَ القرآن الكريم محلًّا لنظر المتكلّمين وخصومهم، واحتدام الخلاف والجدال.

وعن هذا يرى الخطيب أن السبب وراء خلوّ القرنين الأوّلين للإسلام من تلك الدراسات القرآنية المتّصلة بإعجازه والكشف عن مواطن الإعجاز فيه، هو تهيُّبٌ لمقام كتاب الله تعالى، والحرص التامّ على البعد بالقرآن عن الجدل والمماحكة، وعن التنازع بين الآراء والمفاهيم التي حوتها آياته الكريمة [11] لذا كان تخوّف الأوائل من أهل العلم الدخولَ إلى مقامٍ له هيبةٌ، وعلوّ منزلةٍ، فلم يكونوا يقحمون أفهامهم، ولا آراءهم في شرح آياته؛ لحرصهم على الابتعاد عن تلكم النّزاعات واختلاف الآراء.

كما يشير الخطيب إلى مراحل انتقال هذا العلم؛ وذلك لتأثّره بالعامل الزَّمنيّ في اتّجاهات النّظر إلى الإعجاز القرآني، وبسبب تأثّر العلماء بعضهم ببعض، وهذا الأمر يبدو جليًّا في موضوع الإعجاز، حيثُ اتبع العلماءُ في هذا نهجا راسخا، يكادُ يكون فيه كل عالم امتداد لمن سبقه، دون انحــرافٍ أو اختلافٍ [12] يقول الله – تعالى - :﴿ **قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَداً**﴾ [13] والملاحظ هنا عدم تباينِ أقوالِ الخلفِ عن أقوال السلف في جلّ المسائل التي تخصّ الإعجاز، إذ إنّها جزءٌ منها، أو مكمّلةٌ لها.

وههنا ذكرٌ لبعضِ نظراتِ العلماء الذين اعتنَوْا بجانب الإعجاز في كتاب الله، وبيانِ بعض ما انكشف لهم من أسراره وروائع، مع العلم بأنّه من غير الممكن أن أستعرض فيه كلّ الآراء التي طرحت حول الإعجاز، لعلَّه يلوح لي بعضَ الملامحِ الجديدة في إعجازه؛ لذا سأقف على بعضٍ من أقوالهم، وذلك بحسب ترتيبها الزّمني، مكتفيًا بأربعة من القدامى، ومثلهم من المحدثين.

الجاحظ ورأيه في الإعجاز (ت: 255هـ) [14]: كان (النّظّام) أولَ من جهر بالقول بالصّرفة[15] من رؤوس المعتزلة، وتبعه في ذلك الجاحظ، حيث يرى بأن الله بعث محمدًا -صلى اله عليه وسلم - في وقت بلغت فيه العرب الغاية في قول الشعر

والخطابة، وفي زمن كانت فيه اللغة أكثر إحكامًا وعُدّةً، فدعاهم بالحجّة في أقصى أمصارهم وأدناها إلى عبادة الله تعالى وحده، والتصديق برسالته الخاتمة، فلمّا قطعَ عليهم الأعذارَ، وأزالَ عنهم الشّبه، ما منعهم من الإقرار بما جاء به إلا هوى أنفسهم، وحميّتهم الجاهلية، من غير جهل منهم وحيْرة، فما كان منه إلا أن حظَّهم بالسّيف على ما حملَهم عليه، فنصب لهم الحربَ، وكذلك فعلوا، فقتل عددًا من كُبرائهم، محتجًّا عليهم في ذلك بالقرآن، حتى أنه كان يدعوهم بكرةً وعشيًّا إلى أن يعارضوه بسورةٍ واحدةٍ من مثله؛ إن كان كاذبًا عليهم، أو بآياتٍ يسيرةٍ، فتراه كلّما ازدادَ تحدّيًا لهم وتقريعًا عليهم؛ بسبب عجزهم عن معارضته، تكشَّفَ له من نقصهم ما كان مخبوءًا[16]. فمِن هنا نرى بأنّ الجاحظ إنّما يُحاجِج على وقوع الإعجاز بالقرآن بأدلّةٍ قاطعةٍ، وبحججٍ دامغةٍ.

ويُرجع الجاحظ أن هذا كان من جليلِ التّدبير الذي لا يخفَى على من هو دونَ قريشٍ والعربِ، سواء كان في الرأي، أو في العقل بطبقاتٍ، كيف لا وهم يملكون القصيدَ العَجِيبَ، ويحملونَ الرَّجَزَ الفاخرَ، ويحكونَ الخُطَبَ الطِّوالَ البليغةَ، ويروونَ منها القِصارَ الموجَزةَ، وكانت لهم الأسجاعُ والمزدوجُ، وملكوا اللفظَ المنثورَ، ثمّ يأتيهم بذلك التحدّي، الذي تحدَّى به أقصاهم، من بعد أن أظهرَ عجزَ أدناهم، فمُحالٌ أن يجتمعوا كلُّهم على الغلَطِ في الأمر البارز، والخطأ المكشوف الواضح، مع التّقريع عليهم بالنّقص، والتّوقيف على عجزهم، وهم أشدُّ الخلق أنَفَةً آنذاك، وأكثرُهم مُفاخرةً بما عندهم، كسف لا والكلامُ سيّد أعمالِهم[17]

ويعقّب الخطيب على كلام الجاحظ بأنَّ جلَّ من أقاموا الحُجّة على إعجاز القرآن بهذا الوجه، كان نظرهم راجع إلى رأي الجاحظ، كما اعتمدوا عليه، وداروا في فلكه، كالباقلّانيّ في إعجاز القرآن، والزّركشيّ في البرهان في علوم القرآن، وغيرهما ممّن أسهموا في فهم وتفسير إعجاز القرآن الكريم [18]

وممّا ســبق يتَّضحُ بأنّ جُلَّ اللاحقين -إن لم يكونوا كلُّهم- قد ساروا وفقَ ما قرّره الجاحظ من قبلهم، وقد كانوا عالةً على ما ذهب إليه في إعجاز القرآن، وإنما كان جوهر خلافهم هو في القول بأن الإعجاز كان بالصرفة، ولقد ردّ هذا القولَ أكثرُ اللاحقين.

الخطّابـــيّ ورأيه في الإعجاز (ت: 388هـ)[19]: كان الخطّابيّ من بين أوائل الذين كتبوا في الإعجاز، وبحثوا فيه بحثًا علميًّا منظّمًا، ولقد تأثَّر بما كتبه الجاحظ من قبله،

كما اطّلع على ما كتبه من سبقه، كأبي إسحاق النّظّام، وهو أحد رؤوس أئمة المعتزلة، كما يشير الخطّابيُّ إلى أنّ القرآن إنّما صار مُعجِزًا؛ لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمَّنًا أحسنَ المعاني، من توحيد الله وتنزيه له، وبيان لأحكام شرعه، من تحليل، وتحريم، وحظر، وإباحة، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، ودعوة إلى مكارم الأخلاق، والإتيان بكل ذلك، والجمع بين مختلف الغايات، أمر يعجز عنه البشر، ولا تبلغه قدرتهم؛ من أجلِ ذلك زاغت أبصارهم، واضطربت أفئدتهم، فقالوا إنَّه سحرٌ، أو شعرٌ، من حيث عجزهم عن الإتيان بمثله[20]

ويشـــير الخطّابيُّ إلى أن اعتبار صحّة المعجزة؛ إنما يكون بالأمر الخارق للعادة، والناقض لها، ولا يُنظرُ فيها إلى عِظَم حجمِ وفخامة منظر ما يجيء به النّبيّ من معجزةٍ [21]. فهو يؤكد كلام من سبقه في كون أنّ الإعجازَ إنّما يكون في أمر يخرج تماما عن جريِ كلّ عادةٍ، ولا يكتفي بهذا، بل يجاوزه إلى درجة أن ينقضَه وكلَّ ما تعلّق به، فهو يعمّ بذلك جميع أجزاء المعجِز، سواء أكان في نظم، أو معناه، أو في ربط حروفه أو جمله أو كلماته، ومثل ذلك في إيحاءاته، أو السياق الذي نظم فيه، أو المناسبة التي نزلت فيها، إذ الإعجاز بارزٌ في جزئه وكلِّه.

الباقلانـــي ورأيه في الإعجاز (ت: 403هـ) [22] **:** يُعدّ الباقلاني من أعلام القرن الرّابع الهجري أولَ من كتب كتابًا في الإعجاز، بطريقة مستقلة؛ وذلك للرَّدّ على الملحدين والمخالفين من الرّافضة، والجهميّة، والخوارج، وغيرهم. وكتب كتابه "إعجاز القرآن" وهو تأليفٌ حولَ إعجاز القرآن من مفاهيمَ ومضامينَ، وهو من دعائم هذا العلم وأركانه، تحدّث في بدايته عن المعجزة، وقرّر أنَّ القرآن هو المعجزة الكبرى للرّسول - صلّى الله عليه وسلّم -، إضافةً عدّة معجزات أخرى، حيث إنّه عاش في فترةٍ زمنيّةٍ كانت المذاهبُ الفكريّة متعدّدةً ومتنافسةً، وألّف كتابَه في إطار دفاعه عن قوام الدّين، وعماد التّوحيد، وبرهان صدق النّبوّة [23] فهو من السابقين للتأليف في الإعجاز بصورة مستقلّة، رادًّا على كل المشكّكين في الدّين، من ملاحدة، ومنحرفين عن جادّة الدّين الحنيف.

ثمّ يذكر الباقلانيّ بأنَّ العلّة في مباينة القرآن لسائر الكلام راجعةٌ إلى اختلاف أجناس الكلام، وتباين النسب في مراتبها، واختلاف درجاتها في البلاغة، وعدم تساويها، حيث قسم الكلام الفاضلَ إلى: البليغ الرصين الجزل المتسم بالحكمة والعمق، وهو أعلى طبقات الكلام وأرفعه، وإلى: الفصيح القريب الذي يسهل فهمه، وهو

أوسطه وأقصده، وإلى: الجائز المطلق الرسل، وهو أدناه وأقربه. فحازت بلاغات القرآن بحصة كبيرة من كل قسم، وأخذت جانبا من كل نوع من أنواعها، فامتزجت هذه الأوصاف لتكون أسلوبا من الكلام منتظمًا ومتقنًا، لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام، يجمع بين جمال العذوبة والفخامة، ليكون نمطًا لغويًّا متكاملًا ومؤثّرًا [24]

والظاهر بأنّ الباقلاني يفرّق بين كلام القرآن، وبين سائر الكلام في غيره، من أنّه كلام متّصفٌ بالبلاغة، والرّصانة، والجزالة، وأنّه لا يضاهى في بلاغته من قبل العرب وألسنتهم، وسائر آدابهم، وكذا في رصانة مبانيه، مع دقة معانيه، بحيث لو أُزيلَ منه حرفٌ من مكانه؛ لاختل المعنى؛ ولا نكسر السّياق؛ ولما أدّت العبارة مقصودها، ومثل ذلكما تمامًا تلك الجزالة المنبثقة منه، والمنعكسة فيه، بحيث يتوقّف دونَها كلُّ خبيرٍ ببلاغة العربيّة، بل ويعجب منها أشدَّ عجبه كلُّ واقفٍ عند أيّ جزءٍ منها، كيف لا والله سبحانه يقول: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**﴾ [25]

كما يرى الباقلاني بأنّ الكلام يقوم في أصله على ثلاثة أشياء: على اللفظِ الحاملِ له، وعلى المعنى القائمِ به، وعلى الرباطِ النّاظمِ لهما، فالمتأمّل في كتاب الله لا يجد أفصحَ ولا أجزلَ ولا أعذبَ من ألفاظه، ولا يشهد نظمًا أحسنَ منه تأليفًا، ولا أشدَّ تلاؤمًا ولا تشاكلًا من نظمه، وأمّا المعاني كما لا يخفى على كل عاقلٍ أنّ معانيه قد أقرّت لها العقول السليمة بفضلها، وتميزها في أبوابها، وبلغت الذروة في درجات فضلها، وكانت لها الريادة في صفاتها ونعوتها [26]

ولقد عدّ الباقلانيّ هذه الأصول الثلاثة من مميّزات كتاب الله، دون غيره من الكتب المنزلة قبله، وذلك أنَّ القرآنَ الكريم إنّما فارقَ حكمُه حكمَ غيره من الكتب المنزلة على الأنبياء، في أنّه يدلّ على نفسِه بذاتِه، بخلافِ الكتبِ الإلهيّة الأخرى، إذ لا تدلّ على نفسها إلا بأمرٍ زائدٍ عليها؛ لأنّ نظمَها ليس معجِزًا؛ لذا كان انفراد كتاب الله بهذا مبرزًا له من بين كلّ الشّرائع، إذ هو خاتمٌ لها، فكان من كمالاته بروز الإعجاز فيه، حتى لا يتشابه معه غيره؛ ليكون له السّبق في هذا التّعجيز التّامّ.

عبد القاهر الجرجاني ورأيه في الإعجاز(ت:471هـ) [27] **:** يعدّ الجرجانيُّ صاحبَ نظريةٍ خاصّةٍ في البحث عن وجه إعجاز القرآن، حيث لم يخصص كتابًا معيّنًا يقصُره على البحث في إعجاز القرآن، وإنّما كتب ثلاثة كتبٍ لها علاقةٌ وثيقةٌ بإعجاز القرآن، وهي: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والرسالة الشافية[28]

هذا وقد نزعَ عبد القاهر الجرجاني إلى البحث عن البلاغة، ووجوهها، وأساليبها؛ وذلك للارتقاء بالذّوق البلاغيّ عند القارئ، ومِن ثمَّ ليضعَ يدَه على موطن البلاغة في كلّ كلامٍ بليغٍ، سواء كان هذا الكلام شعرًا، أو نثرًا، أو خطبةً.

المطلب الثاني ـ مفهوم الإعجاز عند المحدثين:

لاشكّ بأنّ اعتمادَ اللاحق على السّابق يبدو ظاهرًا في كلّ لونٍ من ألوان العلوم، وبخاصّة في العلوم الشّرعية منها، وممّا لا يخفى بأنّ انتقالَ المراحل يُعدّ سُنّةً كونيّةً، لا سيّما فيما يخصّ الإعجازَ ووجوهَه، فقد بنى المعاصرون كلامهم على من سبقوهم في هذا الفنّ؛ لكنّهم لم يتابعوهم في كلّ ما قالوه، إذ إنّهم تعرّضوا لكلامهم بالنّقد، والنّقض، والتّمحيص، والرّدّ، والقَبول، بحسب ما أوتي كلٌّ منهم من فنون البلاغة والعربيّة، فهو علم لا يُستطاع إلا بعلوم الآلة، وكان ممن برع في هذا العصر الحديث، وشهد له العديد من أقرانه بهذا السّبق (الرّافعيّ)، وهو من سنبدأ الحديث عنه، وعن قوله في الإعجاز ووجوه، دون إطالة؛ لنوثّق بعضًا من تتابع الزّمن في تطوّر هذا الفنّ، أو اتّساع المدارك فيه.

الرّافعيّ ورأيه في الإعجاز (ت: 1356هـ) [29] : كان اعتناء الرّافعيّ بإعجاز القرآن بارزا، فلقد ألّفَ كتابه الموسوم: (الإعجاز في القرآن والسنة) والذي هو جزء من كتابه: (تاريخ آداب العرب)، حيث يرى الرّافعيّ أن الإعجاز يكون بسبب ضعفِ تلك القدرة الإنسانيّة في محاولة الإتيان بالمعجزة، فالزّمن يمضي، وذلك الضّعف مستمرّ، فيجعل كلّ العالم في حالة عجز، كإنسانٍ واحدٍ، له مدّة محدودة، مهما طالت[30]

فالرّافعيّ يرى بأنَّ الإعجازَ مشتملٌ على هذيْن الأمريْن دون غيرهما، ولكنَّ النّاظرَ في تاريخ الإعجاز، يتّضح لديه الأمر الثّاني، ألا وهو استمرار الضّعف، رغم تراخي الزّمن، وممّا هو مسلّمٌ به بأنّ أربابَ الفصاحة، وفرسانَ البلاغة لم يستطيعوا مجاراة القرآن بأيّ صورةٍ، وهو أمرٌ حتميٌّ في شأنهم وشأنِ غيرهم؛ لعجزهم التامّ، فإذا كان هذا حالَهم وهم من هم، فمن باب أولى بعد تراخي الزّمن، واندراسِ تلك الملكة والفِراسة، وضعفِ اللسان العربي؛ وذلك إمّا بسبب دخول الأعاجم في الإسلام، وإمّا بسبب تلك القراءات الأعجميّة للنّصّ القرآني.

محمد دراز ورأيه في الإعجاز (ت: 1377هـ) [31] **:** تناول دراز دراسة الإعجاز في القرآن الكريم في كتابه (النبأ العظيم) حيث ذكر أن أول ما أدهش العرب في القرآن الكريم نظامه الصوتي والذي له مظهران[32] الأول: هو ترتيب الحروف في كلماتها،

وذلك من حيث الحركة والسكون. والثاني: هو وضع تلك الحروف بعضها فوق بعض، فهذا مهموس وهذا مجهور، وذاك فيه صفير، وآخر فيه قلقلة، وهكذا.

بحيث يمثل هذان المظهران جمالَ الإيقاع في القرآن الكريم، وهو ما يعبر عنه بالجرس الصوتي، أو ما يطلق عليه موسيقى الألفاظ، كما سماها سابقه الرافعي.

كما نجد دراز قد عدَّد خصائص أسلوب القرآن التي كان بها معجزًا، وهي [33]:

1- القصد في اللفظ والوفاء في المعنى، بحيث لا تجد فيه كلمةً زائدةً عن الحاجة، مع استيفاءٍ تامٍّ للمعنى المقصود.

2- أن خطاب القرآن خطاب للعامة وللخاصة، فهو كما يخاطب العلماء، يفهمه العامة بيسر وسهولة.

3- إقناع العقل مع إمتاع العاطفة، فهو يخاطب العقول والقلوب بالبراهين، ويحرك الأحاسيس الوجدانية بما في نصوصه من عاطفة قوية.

4- البيان والإجمال، فقد جمع بين الوضوح والبيان، دون تطويل في الكلام، وبين الإجمال دون غموض أو لبس.

عبد الكريم الخطيب ورأيه في الإعجاز (ت: 1406هـ) [34] : يعرّف الخطيب المعجزة كما جاء في الإتقان [35] بأنَّها: هي الأمرُ الخارقُ للعادة، المقرونُ بالتّحدي، والسالمُ عن المعارضة [36] كما يُصنّفُ الخطيبُ المعجزةَ بأنها إمّا أن تكون معجزةً حسّيّةً: أي أنها تجابه الحواسّ، وتقوم بتحدّي القُدرِ البشرية، ومعظمها من المعجزات التي سبقت معجزةَ نبيّ الإسلام ، فهي تقع في مجال الحسّ، وإمّا أن تكونَ معجزةً عقليّةً: فهي تصطدم بالعقل، فتقابله بكلّ حواسِّه وقدراته الإدراكيَّةِ، فيلقاه كلٌّ بحسب فهمه وقدرته على التّفريق بين الخير والشّرّ [37]

فالخطيب يبيّن بأنَّ القرآنَ معجزةٌ كلاميّةٌ، قد أخرست كلَّ ناطقٍ، وأعجزت كلَّ متكلّمٍ، وأنّ القرآن في تحدّيه للعرب بالكلمة وإعجازها اللغوي؛ قد حدد الزمان والمكان بدقة، ودعاهم فيه إلى التّحدّي، فكان إعجازُه حجَّةً وبرهانا قاطعا على النّاس كافةً، وإفحامًا لهم [38]

ثم يقرّر الخطيب بأن إعجاز القرآن يكون حجّته ظاهرةً على كل من يتقنُ العربيّة، ويحتاج من أجل الإيمان به معجزةً تثبت صدق الرسالة، ثم يشير إلى أن عدم معرفة الإعجاز القرآني لا يمنع الدخول في دين الإسلام؛ لكن تلك المعجزة سيقت لأجل صدودِ من ملئت أفئدتهم عنادا وكبرا، إذ لم يستجيبوا لنداء ربهم، ولم يخضعوا للحق

الذي جاء به رسوله [39] لذا كانت الحجة أكبر على من يحسن العربية، وليس معنى هذا أن الأعجمي لا يستطيع الوقوف على بعض إعجازه؛ لأن من وجوه إعجازه تأثيره في النفوس البشرية، من عرب ومن عجم.

ويذهب الخطيبُ إلى القول بأن إعجاز القرآن إنّما يبدو في مقام النّظم؛ وذلك باجتماع حروفه اجتماعا رشيقا، تحمل كريم المعاني، وذلك بالرّغم من اجتماع حروفٍ ثقيلةٍ وخفيفةٍ مع توازنها، فلا تخلص إليك إلا في جلال نظمٍ، واتّساق رسمٍ، وروعة نغمٍ[40]وما يؤكّد ذلك أيضًا بما تناولَه القرآنَ من تلك الألفاظ الجارية على ألسنة العرب، فإذا هي لا تلبث إلا أن يطرق أسماعهم قرآن تهتزُّ منه أفئدتهم، فتخرس ألسنتهم أمام بلاغته، وتنحني له أعناقهم انقيادًا لعظمته، فلا يكون منهم جميعًا إلا العجزُ والخضوع [41] ذلك لأنه كتابٌ إلهيٌّ معجِزٌ، اندهشت من روعة بيانه الأذهان، ووقفت أمام عظمته في ذهول.

كما يشير الخطيب إلى مراحل الانتقال في اتّجاهات النّظر إلى علم الإعجاز بسبب تأثّرها بالعامل الزَّمنيّ، وبسبب التأثيرات الفكرية المتبادلة بين العلماء، حيثُ سلكَ العلماءُ في الإعجاز مسلكًا سار فيه اللاحقون منهم على خطى السابقين [42] ، يقول المولى – عزوجل - :﴿ **قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَداً**﴾ [43]

لذا فالملاحظ عدم تباينِ أقوالِ الخلفِ عن أقوال الأوائل في جلّ المسائل، وذلك فيما يخصّ الإعجاز، إذ إنّها جزءٌ منها، أو مكمّلةٌ لها.

فضل عباس ورأيه في الإعجاز (ت: 1432هـ)[44]

يرى فضل عبّاس أنَّ أُولى التّعريفاتِ للمعجزةِ في اللغةِ هو ما عرَّفه الرَّاغب الأصفهاني [45] بأن عجز الإنسان: هو مؤخره، وأن أصل العجز هو التأخر عن الشـيء [46] ثمَّ ينقل عباس إجماع اللغويّين والمفسّرينَ على أنه ليسَ للعجزِ إلّا هذا المعنى [47] فأصلَ العجزِ في اللغة: مؤخَّرُ الإنسان، وإنما استُعيرَ لغيره، إذن فهناك صلةٌ وثيقةٌ بين هذا المعنى، وبين القصورِ عن الشّيء، لذا فإنَّ التّأخّرَ والقصورَ متلازمان.

كما يشيرُ عبّاسُ إلى أنَّ مصطلحَ الإعجازِ والمعجزةِ له أساسٌ لغويٌّ صحيحٌ، ويرى بأن هذا المصطلح قد تأخَّرَ ظهورُه إلى ما بعد القرنِ الثَّاني الهجريّ، حيث نشأ في بيئةِ

المتكلِّمين، أثناء دفاعهم عن كتـاب الله، مـن خـلال ردودهـم علـى تكهنـات أهلِ الزَّيْـغِ والضلال، وتخرصات الملاحدةِ والزّنادقةِ، وشبهات أهل البدع والأهواءِ [48]

ويشير فضل عبّاس إلى مسألة التّحدّي فيصف العرب بأنهم امتازوا بسلامةِ سجيتهم، وعرفوا بسرعةِ البديهةِ، لأنهم على دراية واسعة بقواعد وأصولِ النَّقدِ الأدبيّ، وتلك المعرفةً ناتجةٌ عن ملكة الذوقِ عندهم؛ لذا تجد القرآن قد استولى على مسامعِهم، بمجرد أن يُتلى عليهم، فصارَ حديثهم في نواديهم، وموضوعا لهم في مجامِعهم، فتحدّاهمُ القرآنُ بسبب عنادهم، وأطلق لهمُ العِنانَ في ميدان التّحدي، ولكنَّهم عجزوا عن مجاراته، أو مُعارضَتِه، بالرغم من توافر دوافع تلك المُعارضةِ [49]

ذلك لأنَّ القرآنَ الكريمَ قد تحدّى العرب بالصِّناعةِ الَّتي يَفخَرونَ بها، وبالأصالة التي يتغنَّوْن بها، كيفَ لا وهُم مَجبُولونَ على الحَمِيَّةِ والأنَفَةِ والكبرياء، ويرى عبّاس بأن أحوالهم كلُّها إنما تدلُّ في الحقيقة على عجزِهم [50]

لذا فإنّ من المعلومِ بأنَّ المخاطبَ بتحدّي القرآنِ في المراحلِ الثلاث همُ العربُ، حيث كان البيانُ بضاعتَهم، والبلاغةُ سجيتَهم؛ لذا جاءت المرحلةُ الرّابعةُ مخاطِبةً النّاسَ جميعًا، عربَهم وعجمَهم، والذي يظهر بأنّ هذا التّحدّي لم يكنْ بالبيانِ وحدَه، بلْ هو تحدٍّ عامٌ لكلِّ المخاطبِين به، إذ إنّ هذه الرسالةَ هي خاتمةٌ الرسالات، فكذلك كانت معجزةً لكلِّ مخاطبٍ بتلكم الآيات.

المبحث الثانـــي ـ وجوه الإعجاز:

تدرّجَ القرآنُ الكريمُ في نزوله على عدّةِ أوجهٍ، من أهمّها الإعجازُ، وهو متمثّلٌ في إعجازه اللغويّ، والبلاغيّ، والعلميّ، والتّشريعيّ، والأخلاقيّ، وهو الذي يتجلّى في نصوصِ القرآنِ الكريمِ بأسلوبٍ لا يمكنُ لأيِّ مخلوقٍ أن يقومَ بمثله، ويُعدُّ أحدَ أوثَقِ الأدلّةِ على صدقِ سيّدنا محمّدٍ ﷺ ورسالتِه الإلهيّة الخاتِمة.

وإنّما كان هذا التنوّعُ في ذكرِ وجوهِ الإعجازِ فيهِ دالًّا على عظمةِ القرآنِ الكريمِ، وعظمةِ مُنزلِه ، ومن غاياتِه أيضًا أن يصِلَ المسلمُ إلى الكيفيّةِ المُثلى لقراءةِ القرآنِ، فيقفَ وقفةَ تأملٍ عند آياتِه، ويتدبّرَ جُمَله، ويسمعَ الكلماتِ التي تسلبُ القلوبَ والعقولَ، ففي هذا يقول الباري – عزوجل - : ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [51]

لذا كان بيانُ وجهِ إعجازِ القرآنِ الكريم مثارَ اهتمامِ العلماء والمفكّرين من لدُن نزوله حتى وقتنا الحاضر، وبلا شكٍّ أنَّ ما زاد من حيرة العلماء عدم الوقوف على

هذه الوجوه المعجزة في القرآن، حيث يرى الخطّابي تعذّر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، حيث أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديما وحديثا، بل وذهبوا فيه من القول كل مذاهب؛ بسبب تعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن والوقوف على كيفيته [52]

ويرى ابن عطية [53] أن وقوع الإعجاز في القرآن الكريم إنما كان بنظمه، وبصحة معانيه، وبتوالي فصاحة ألفاظه. ووجه إعجازه أن الله قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كلِّه علما [54] أي: أنّ كلام الله - تعالى - لو أنك نزعت منه لفظة واحدة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجدَ أحسنَ من هذا اللفظ لم يوجد، فتَبَيَّنَ لنا البراعةَ في أكثره، ويخفى علينا وجهُها في مواضع أخر؛ وذلك بسبب عجزنا عن مرتبة العرب يومذاك، متمثلا في سلامة الذّوق الرفيع، وجودة القريحة، والإبداع المؤثر، ودقة التعبير ومراعاة السياق، والغرض من الكلام[55]

المطلب الأول ـ وجوه الإعجاز عند القدامى

وجـــوه الإعجاز عند الجاحظ (ت: 255هـ) : لا يختلف رأي الجاحظ في وجوه إعجاز كتاب الله عمّن أتوا بعده، فهو إمامٌ من أئمة البلاغة بلا منازعٍ، حيث يكادون مُجمِعون على أنّه يتمثّل في (النّظم)، وهو ما ذهب إليه من بعده الباقلانيّ، والجُرجانيّ، وهو انفراد القرآن بهذا النّظم العجيب، من صياغة للمعاني، وكذلك الروح المنبعثة منه، ومن حروفه، وكلماته، وجمله.

كما أنّ رأيَ الجاحظ هذا في وجوه إعجاز القرآن "لم يكُنْ رأيًا صريحًا للجاحظ، وإنّما كان عن طريق الاستدلال، والاستنتاج لمقولاته التي حمّلناها هذه المحاميل، وفهِمناها على هذا الوجه من الفهم، وإلا فإنّ الجاحظ لم يقُلْ قولًا صريحًا مواجهًا، في الجهة أو الجهات التي جاء منها الإعجاز في القرآن [56]

فالجاحظ يشترط بأنّ يكون النّظم مشتملا على شيء من السَّعَة والامتداد؛ حتى تتشكّل منه صور مستندة بعضها إلى بعض بحقائق مترابطة، فلو قرئ على رجلٍ من بلغائهم سورة واحدة طويلة كانت أو قصيرة؛ لتبدّى له من نظامها ومخرجها، ولفظها وطبعها، العجز عن الإتيان بمثلها، ولو استعان بجميع العرب، أولهم وآخرهم [57]

لذلك فالخطيبُ يرى بأنّ الجاحظَ هو إمامُ المذهب في إعجاز القرآن، وعمدةُ الرأي فيه، فصار مذهبًا من مذاهب الرّأي في الإعجاز، وهو ما دفعَ بالعلماءَ إلى أن يسلكوا مسلكَه في مجال النّظر في الإعجاز، وهو انبناءُ قولِه على أنَّ الإعجازَ في كتاب الله هو الفصاحة، والبيان الذي يحويه [58] وهو بهذا السّبق الأدبيّ يمثّل اللبنةَ الأولى

للإعجاز القرآني، حيث لمْ يكتفِ تسلُّطه على النّظر في إعجاز القرآن فحسب، بل تعدّاه إلى الذّوقِ الأدبيّ، والبلاغة العربيّة.

وجوه الإعجاز عند الخطّابـيّ (ت: 388هـ) : ينكرُ الخطابيُّ القولَ بالإعجاز بالصَّرفة، حيث يرى بأنّ الإعجازَ والتّحديَ لا يكون إلا فيما هو خارجٌ عن القدرة الإنسانيّة، ولا بدَّ أن يكون في إطار النّظْم والأسلوب، بحيث جاء جمع القرآن بين ضدَّيْنِ، هما: الفخامة، والعذوبة، وأنَّ اجتماعَ الضّدّيْن في النّظم القرآنيّ فضيلةٌ، وبيّنةٌ، ومعجزةٌ.

ويرجّـــح بأنَّ الخطّابيَّ كان يرى أنّ سببَ اختلاف النّاس في الرّأي حول وجوه الإعجاز في القرآن أمرٌ متعذّر، وأنَّ النّاظرين فيه قد اختلفوا اختلافا طويلا في سلامة تلك الأجهزة التي يتعاطَوْن بها النّظرَ إلى القرآن الكريم؛ مما أدى إلى اختلاف مُعطيات القرآن لهم، فاختلفت بذلك مقولاتهم فيه(59)

ولقد ردّ الخطّابيّ بعضًا من الوجوه في إعجاز القرآن، كالقول بالصّرفة، وكذلك الإخبار بالغيبيّات، وذهب إلى القول بوجهٍ - في نظره - لم يسبقه إليه أحد، ولا يكاد يعرفه إلا الشّاذّ منهم، وهو صنيعُه العميق بالقلوب، وتأثيرُه البالغ في النّفوس، فسماع القرآن يقرعُ السَّمعَ، ويخلُص إلى القلب، حاملا معه اللذة والحلاوة من جهة، ومن الرّوعة والرهبة من جهة أخرى، كما تحمل تلك الآيات في ثناياها ما تستبشرُ به النّفوس الوجلة، وتنشرحُ له الصّدور، وتقشعرُّ منه الجلود (60) ومن هنا نجد اختلاف الخطابيّ عمَّن سبقه، حيث يبرزُ ذلك في تعميقه لمفهوم النّظم القرآنيّ بإضافاتٍ جديدةٍ، ومُلَحٍ لطيفةٍ، ومعانٍ سديدةٍ.

فالخطّابيّ يريد القولَ بأنَّ هذا القرآنَ إنّما صار معجزًا؛ لأنّه جاء بأفصح الكلام في أروع نظمٍ، مازجًا بين دقّة التّأليف، ومضمَّنًا أصحَّ المعاني، ابتداءً من الأمور العقديّة، وصولًا إلى أحكام الشّريعة مكتملةً، واضعًا كلَّ شيءٍ في موضعه.

وذكر الباقلانيّ في كتابه آراء العلماء الذين سبقوه بالحديث عن إعجاز القرآن وبلاغته، ولا يخفى أنّه استفاد ممّن سبقوه في هذا الموضوع. حيث سار على طريقة الرّمانيّ في عرض الكلام والأساليب البليغة، وفي استشهاده على ذلك من كلام العرب، ثمّ الانتهاءُ إلى بلاغة القرآن، والمقارنةُ بين أسلوب القرآن، وغيره من الأساليب (61)

وجوه الإعجاز عند الباقلاني (ت: 403هـ) : أفاضَ الباقلانيّ القولَ في إبطال القول بالصّرفة، وذكرَ جملةً من وجوه إعجاز القرآن، حيث أجملها في ثلاثة وجوهٍ، الأوّل: الإخبار عن الغيوب، والثّاني: الإنباء عن قصص الأولين وسير المتقدّمين، الثّالث: براعةُ النّظم والتّأليف والرّصف، ثمّ فصّل هذا الإجمال بضرب الأمثلة الكثيرة على كلِّ وجهٍ من الوجوه التي ذكرها، وأغلب هذه الوجوه تتعلّق بالإعجاز البيانيّ [62]

ثمّ بيّن الباقلاني كيفية الوقوف على إعجاز القرآن بأنّه ليس باستطاعة أحد أن يقف على وجه من وجوه الإعجاز إلاّ إذا كان على معرفةً بيّنةً بوجوه البلاغة العربيّة، وتكوَّنت له فيها ملكةٌ يقيسُ بها الجودةَ والرداءةَ في الكلام ومراتبه في الفصاحة، فمتى تقدّم ذلك الإنسان في هذه الصّنعةِ لم تخْفَ عليه تلك الوجوه، ولم تشْتبهْ عنده طرقها[63] ويتّضح بأنّ الباقلانيّ إنّما يردّ المسألة برُمّتها إلى الذّوق، وحُسْن تدرّبه على تمييز أصناف الكلام.

ثمّ يذكرُ الباقلانيّ بأنَّ العلّة في مباينة القرآن لسائر الكلام ترجع إلى اختلاف أجناسَ الكلام، وتباينها في نسبة مراتبها المتفاوتة، وعدم تساوي درجاتها في البلاغة، فكان منها: البليغُ الرّصينُ الجزْلُ، وهو أعلى طبقاتِ الكلامِ وأرفعُه، ومنها: الفصيحُ القريبُ السّهلُ، وهو أوسطُه وأقصدُه، ومنها الجائزُ المطلقُ الرّسْلُ، وهو أدناه وأقربُه، فانتظمَ بامتزاجها نمط الكلام، وجمع بين صفتي: الفخامة والعذوبة [64]

وجه الإعجاز عند الجُرجانـــيّ (ت: 471هـ) : يرى الجُرجانيّ بأنَّ وجهَ الإعجاز متمثّلٌ في: النّظْم القرآنيّ، وعلى أنَّ حُسن الكلام من جهتيِ اللفظ والنّظم، يقول عنه النّورسيّ[65]: "ولم تكن نظريّة النّظم جديدةً اخترعها الجُرجانيّ من غير مقدّماتٍ، وإنّما لفتَ النّظرَ إليها الجاحظُ في كتابه (نظمُ القرآن)، والواسطيُّ في كتابه (إعجازُ القرآن في نظمه)، والباقلانيُّ في كتابه (إعجازُ القرآن)، غيرَ أنَّ الجُرجانيَّ شرحها شرحًا نحْويًّا بيانيًّا وافيًا مترابطًا، وصاغ منها نظريّةً متكاملةً، تقوم على أساسِ عدمِ الفصلِ بين اللفظ ومعناه، وبين الشّكل والمضمون، وقرّرَ أنَّ البلاغةَ في النّظم، لا في الكلمة المفردة، ولا في مجرّد المعاني، دون تصوير الألفاظ لها"[66] ويُفهَمُ من كلام النّورسيّ بأنَّه آمنَ بنظريّة الجرجانيّ المشهورة في النّظم، وأنّه لم يُخْفِ إعجابه بها؛ وذلك بعد اطّلاعه الواسع على الأدب، والبلاغة العربيّة في كتب السّابقين، كالجاحظِ، والخطّابيّ، والباقلانيّ.

المطلب الثاني ـ وجــوه الإعجاز عند المحدثين:

وجه الإعجاز عند الرّافعي (ت: 1356هـ): بعد اطّلاع الرّافعي على أقوال السابقين في وجوه الإعجاز يرى أنّ القرآن معجزٌ بالمعنى الذي يُفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، فهو معجزٌ في تاريخه، دون سائر الكتب السابقة، وهو معجزٌ في أثره الإنسانيّ، وكذا معجزٌ في حقائقه التي يحملها في ثنايا نصوصه، وأن هذه الوجوه وجوه عامّة، فهي لا تخالف الفطرة الإنسانيّة السليمة في شيء، فهي باقيةٌ ببقاء الزمن، وستبقى متجددة ما بقيت الحضارة [67]

ثمّ يشــير الرّافعي في موضعٍ آخرَ إلى جهات الإعجاز، فيرى بأنها صفات نابعة من نظم القرآن، ومنبثقة من طريقة تركيبه، في إشارة منه إلى سرّ الإعجاز الذي قامت عليه هذه الطّريقة، وإلى ما انفرد به ذلك النّظم المعجز [68]

وبالتّالي فإنَّ ما ذهب إليه الرّافعيّ من القول بأنّ وجهَ الإعجاز متمثّلٌ في نظمه، هو قول أغلب ممّن تكلّموا في وجوه الإعجاز، بدءًا من الجاحظ، وانتهاءً بالخطيب وعبّاس، وغيرهما، فالرّافعيّ يرى بأن إعجاز القرآن منحصرٌ في بلاغة النّظم لا يفارقه؛ ولكنه خالف سابقيه في تقسيمه لهذا النّظم، فقسّمه إلى: الحروف، والكلمات، والجمل.

ولقد ردّ الرافعي على القول بالصرفة بأنّه لا يختلف عن قول العرب فيه : ﴿ **إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَــرُ**﴾ [69] ، وهذا زعم رده الله على أهله، وأكذَبهم فيه، وجعل القول به ضرباً من العمى: يقول الله – تعالى - : ﴿ **أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [70]، فاعتبر ذلك بعضه ببعضه فهو كالشيء الواحد. كما يرى الرافعي بأنّ رأي الجاحظ في الإعجاز كرأي أهل العربية، وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها [71]

وجه الإعجاز عند محمد دراز (ت: 1377 هـ): كان من الذين كتبوا عن الإعجاز في كتابه (النبأ العظيم)، حيث حصر درّاز وجوه الإعجاز في ثلاثة أوجه من الإعجاز: الإعجاز اللغوي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي.

وقد تناولَ دراز الإعجازَ اللغويَّ وأطنبَ فيه وفصّلَ؛ لأنّه يرى بأنّه هو الذي وقع من جهته التحدّي بالقرآن، ويتجلى ذلك في ناحيَتيْن: الأولى: الجمال التّوقيعي في توزيع حركاته وسكناته ومدّاته وغُنّاته [72] ، واتصالات حروفه وسكتاتها [73]. فهو بهذا يؤكد على أنّ سرّ الإعجاز متمثّل في النظم، وتمام النظم تأثيره في النفس البشرية.

والناحية الثانية: أنها تتّضح في الجمال التنسيقي، وذلك في رصف الحروف، وتأليفها من مجموعات مؤتلفة مختلفة، فكلما اقتربت بأذنك، طرقت سمعك جواهر حروفه، وهي خارجة من مخارجها الصحيحة، ثم فاجأتك من ثناياه لذة أخرى، متمثلة في نظم الحروف وتأليفها، ورصفها وترتيب أوضاعها [74]

ثمّ يشـــير دراز إلى الجانب المعنويّ وجماله، ويعدّه من أعظم النّاحيتين أثرًا في الإعجاز اللغوي، إذِ اللغات تتفاضلُ من حيث هي بيانٌ، أكثرَ من تفاضلها من حيث هي أجراسٌ وأنغام [75] ، حيث جمع هذا النظم المعجز بين البيان وبين تلك الأجراس والأنعام، فهو بهذا يحقق السّبق، إذ هو مشتمل على كل نظم بليغ، بل ويصل هذا الإعجاز إلى تأثيره في النفوس، ويشدها لتلك المشاهد، أو تلك المواعظ، وما يترتب عليها من حالات، سعيدة كانت أو حزينة.

وجه الإعجاز عند عبد الكريم الخطيب (ت: 1406هـ) : ولقد كان من بين الوجوه التي يكاد يتّفق فيها الخطيب وعباس تتمثّل في حسنُ الأداء واختيار المفردات القرآنية، حيث جاء القرآن الكريم بأسلوبه الرّائع، وهو النّظم المعجِب بأسوبه المعجز، وهو ما كان في ذاته آية الآيات في فنّ الكلام، لذا كانت آيات القرآن الكريم كلُّها فنًّا عاليًا لا يطاوَل من فنون القول، ومن بلاغات الكلام، وكان أيُّ لون جاء به من ألوان الحقائق، بدى معجِبًا مثيرًا؛ متى ما حملتْه ألفاظُ القرآن، وجلته في هذا النّظم المُعجِب المُعجِز [76] ، مما يشعر بعمق المعاني وجلالها، فيقع أثرها في النفس والقلب، متأملا جمالها وروعتها.

وهذا ما قصدَه الخطيبُ في حديثه، من أن وجه الإعجاز هو: حسن الأداء: وهو ذلك النّظم الذي نظمت فيه تلك المعاني القرآنية على وفق هذا الأسلوب الذي عُرف به القرآن، فهو مبنيٌّ على الصّدق في كل ألفاظه، وكل آية من آياته، وكذلك في علوّ الجهة التي جاءت منها هذه الألفاظ والآيات، في صورة محمّلةٌ بالصّدق، حيث إن هذا الصّدق وعلوّ تلك الجهة قد جاءت في أروع صور الأداء، وفي أكمل أوضاع نظم الكلام، بحيث جاءت على وجهٍ لم تعرفه العرب آنذاك، ولم تتعامل به، سواء أكان في أشعارهم، أو فـــي أنثارهم[77]

فمن هنا نجد الخطيب يشير إلى أن النّظم الذي اختص به القرآن جاء متفردا في أسلوبه، فهو يرى بأنّه وإن كان على لغة العرب وفصيح كلامهم شعرًا ونثرًا، فهو

يختلف اختلافا تامًّا من جهة تأليفه ونظمه، والمتمثّل في وضع حروفه وكلماته، بشكلٍ لم تعرِفه العرب من قبل، لما فيه من أسرار عجيبة.

لذا فإنّ مجيء القرآن متفرّدًا بنظمه الفريد العجيب، وبصوره المحسوسة، وروائعه وأسراره، كان نظير معرفة العرب الشعر الموزون المقفى، والنثر المرسل والمسجوع، بيد أنها - أي العرب - لم تعرف النظم الذي تفرّد به القرآن، وبأسلوب منظَّمٍ، يختم فيه كلَّ آيةٍ بفاصلةٍ ذاتِ نغمٍ ورنينٍ؛ ذلك لأن النظم أبيَن وجهٍ من وجوه الإعجاز في نظر جلِّ إن لم يكن كلِّ الباحثين عن إعجاز القرآن العظيم.

كما يشير الخطيب إلى أن القرآن لم يعرف تلك الأثواب، وفي صورة غير تلك الصور، بل جاء بشكلٍ لا يشبه غيره، ولا يشبهه غيره، فلا هو كالشعر، ولا هو كالنثر، ولا هو كالسجع، وإنما هو قرآن كريم، فصلت آياته تفصيلا، ويرى أن الآية القرآنية هي الوحدة واللبنة التي بني منها القرآن، وهي ليست بيتا من الشعر، ولا جملة من النثر، ولا مقطعا من السجع [78]

كما يذهب الخطيب إلى أن الأحداث التاريخية في النظم القرآني، قد امتازت بإثارتها الفنية الفريدة، التي لا تحدثها أروع الملاحم الخيالية، ولو كانت هذه الأحداث التي يعرضها القرآن إنما تساقُ مساقَ الخبر، فهي مجرّدةً من كلّ صورٍ الصّراع والاحتكاك المستمر بغيرها من الأحداث [79]

كما يشير الخطيب إلى تكوين الفواصل جُمَلًا مستقلة، بحيث تؤدّي معنًى تامًّا مستقلًّا بدلالته، كقوله – تعالى - :﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾ [80] ، وهناك كثيرٌ من الفواصل ليست على تلك الصّفة، وإنّما هي قد تكون آيةً قائمةً بنفسها، مثل قوله – تعالـــى - : ﴿ **وَٱلضُّحَىٰ**﴾ [81]، وقد تكون جزءًا من آيةٍ، مثل قوله – تعالـى-:﴿ **وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ**﴾ [82]، فالطّارق وغيرها، فواصل لآياتٍ بعينها، وهي بمنزلة الجزء من الكلّ، حيث لا يمكن فصلها بأيّ حالٍ [83]

ويرى الخطيب أن ما اجتمع في كتاب الله العظيم من صدق مطلق، ومن علوّ الجهة التي نزل منها، وحسن الأداء، ولو جاء القرآن على صفتها وحدها لكان معجِزًا مفحِمًا، تخرسُ الألسنةُ لبلاغته، وتعنو الجباه لجلاله وعظمته، فكيف بالثّلاث إذا اجتمعن جميعًا في كلامٍ، وصِرن وجوهًا من وجوهِ محاسِنِه، وآيةً من آياتِ إعجازه، إنّه إعجازٌ يجتمعُ إلى إعجازٍ، يلتقي بإعجازٍ [84]

وههنا نجد الخطيب يـرى وجهًا آخر للإعجاز ألا وهو: روحانيّة القرآن، وهذه الرّوحانيّة نابعة منه، فكان كلامه – تعالى- أمرًا من أمره، وروحًا من روحه؛ ولأجل هذا سمَّى القرآنَ (روحًا)، يقول الله – تعالى - : **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَاۖ مَا كُنتَ تَدْرِے مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُوراً نَّهْدِے بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۖ وَإِنَّكَ لَتَهْدِے إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** [85] ، ويقول سبحانه : ﴿ **يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ**﴾ [86] ، فالـرّوح معناه هنا: القرآن الكريم، وأمر الله: هو ما اشتمل عليه وحيه، وما حواه كلامه من أحكام ومواعظ[87]

فالنّاظر في كتاب الله تعالى إذا أمعن نظره يجد أن بقيّة الآيات التي ورد ذكر الرّوح فيها قد جاءت بمعنى القرآن، بالرغم من اختلاف المفسرين فيها، وذلك بالنظر لما سبقها من خطاب عن القرآن، إذ الموقف كلُّه كان في شأن القرآن العظيم، حديثًا عنه، وبيانًا للجهة المنزل منها، وكشفًا عن مقامه الجليل، وعجزًا من الجنّ والإنس عن مطاولته، أو محاولة الإتيان ولو بمثله [88]

ومن هنا بدتْ إشارةٌ من الخطيب إلى الالتفات والنّظر في تلك التجلّيات المنبثقة من هذه الرّوح السّارية سريانَ النّار في الهشيم، فهو يدعو المسلم إلى أن يستشعرَ أنّه بين يديْ روح الله، وهذه إشارةٌ إلى تلك الإيحاءات التي ينطلق منها بعد سماع تلك الكلمات فهي ليست مجرّدَ كلماتٍ يسمعها، بل هي كلام الله، شاهدةٌ على عظمته وجلاله [89]

أما عن وجه إعجاز كتاب الله في (نظمه)، فيرى الخطيب أنّ كلّ كلمة من كلماته، لها وجودها الذّاتي، وهي قادرةٌ بهذه الحيويّة التي وضعت فيها، على الوصول إلى الغاية التي تتّجه إليها، ما دامت في صورتها التي نظّمت بها مع كلمات الله، فإذا انتزعت أو بدلت من مكانها، أحسّ النّظمُ كلُّه بفقدها، وانتابه الشعور بحاجته إليها هي بعينها دون غيرها؛ لكي ينتظمَ أمرُه، وتعودَ إليه سلامة لغته وفصاحته التي كان عليها، وامتاز بها [90]

فالخطيب يرى بأنّ النظم بمثابة العضو من جسم الإنسان، إذ كلّ عضوٍ يؤدّي وظيفَته في موضعه، فإذا تغيّر شيءٌ في هذه الأعضاء اختلّ ذلكم الجسد، في إشارة إلى أنّ ذلك النّظم القرآنيَّ هو تدبير صنعه العليم الخبير [91]

وجوه الإعجاز عنـــد فضل عباس (ت: 1432هـ): ولقد عــرّف عبّاسٌ النّظمَ بأنّه: التّرتيبُ الذي كان لكلمات القرآن الكريم، من جهةٍ جُمَلها، ومن جهة اختيارِ هذه الكلمات، مع ترتيبِ تلك الجُمَلِ والآيات داخل السّورةِ، وتلك مسألةٌ قد كان يُدركها

العربُ الأوائلُ عند نزول القرآنِ بذوْقهم وسليقتِهم، كما يشير إلى أن العربَ في زماننا فإنّما يُدركونها بالفِكرة لا بالفِطرة، وذلك بعدَ أنْ تُفسِّر لهم معانيها، وتبيّن لهم دقائقَها، وهم وغيرُهم -أي من غير العرب- في ذلك سواءٌ(92)

كما نجد عبّاس قد أقرّ ما ذهب إليه جِلّةٌ من العلماء القدامى، كالجُرجانيّ والزّمخشريّ، وغيرِهما، في القول بأنّ الإعجاز البيانيّ يرجع إلى النّظمِ، وأنّ هذا النّظمَ ليس خاصًّا بالعرب وحدَهم، وغلّطَ من ظنّ أنّ الإعجاز البيانيّ هو حديث عن الصّورة التي تُمتِع العواطفَ، وتلذُّها الأنفسُ، والتي تقوم على الِاستعارة والتّشبيه والكناية، وهي مختلفةٌ من قومٍ لآخرين، ولكنّ النّظم ليس كما حسِبوه(93)

نتائج البحث:

من خلال هذا البحث توصلت إلى نتائج، أهمها:

1- أن البحث عن وجوه الإعجاز في كتاب الله تعالى مبني على دراسة العلماء لهذا الإعجاز، وفق تحليل دقيق لمسائله.

2- أن القرآن الكريم مُعجزٌ بعدّة وجوه، وأن الإعجاز البياني يظل هو سرُّ الإعجاز القرآني، مُتجلّيًا في بلاغته، وفصاحته، ونظمه.

3- أنَّ بقيَّة الوجوه المعجزة الأخرى في كتاب الله ما هي إلا شواهد دامغة على ربّانيَّة القرآن الكريم، وصدق النبوة المحمدية الخاتمة.

4- أن ما أتى به المُحدثون من وجوه -في الحقيقة- لا يجاوز ما قرَّره الأقدمون في مُجملهم؛ فالمُحدثون عالةٌ على سابقيهم في تفهّم تلك الوجوه المُعجزة.

5- أن العلماء يكادون يتبعون نهجا واحدا، بحيث لا يكاد يأتي العالم بفكرة جديدة تختلف عن سابقتها.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الهوامـــــــــــش:

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1/ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، استانبول، دار قهرمان، 1406هـ، ص: 484.

2/ ابن منظور، لسان العرب، بيروت دار صادر، مادة عجز، 369/5.

3/ الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1 1403هـ -1983م، ص: 31.

4/ الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 65/1.

5/ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية، ط1، 1394هـ- 1974م،3/4.

6/ هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، الباقلاني البصري المتكلم المشهور، كان على مذهب أبي الحسن الأشعري، ومؤيدا اعتقاده وناصرا طريقته، وسكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، توفي سنة (403هـ) ببغداد، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، 1971م، 4/ 269، 270.

7/ الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، الطبعة: الخامسة، 1997م، ص: 195.

8/ القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، ولي قضاء القضاة بالري، توفي سنة (415هـ)، من أبناء التسعين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م، 17/ 244، 245.

9/ الهمذاني، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، حقق: مجموعة من العلماء طه حسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 226/16.

10/ محمود شاكر، مقدمة الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، ط4، 2000م، ص: 26-27.

11/ الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، ط1، دار الفكر العربي، 1974م،1/ 180.

12/ المصدر نفسه،1/ 153.

13/ سورة الكهف، الآية: 109.

14/ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ، البصري، صاحب التصانيف، كان تلميذًا للنظّام المتكلم المشهور، من أهم تصانيفه: كتاب (الحيوان)، و(البيان والتبين)، توفي سنة (255 هـ) بالبصرة، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 470 - 474.

15/ القول بالصرفة: وهو قول النظام- ومعناه: أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات وهو قول فاسد بدليل قوله تعالى: { **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**} فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 2/ 94،93. وانقسم القائلون بالصرفة إلى مذهبين، الأول: النظام ومن تبعه:

ذهبوا إلى أن العرب صرفوا عن المعارضة أصلا ولم يتوجّهوا إليها، ولو توجّهوا لقدروا على الاتيان بمثل القرآن. والمذهب الثاني: وقال به الشريف المرتضى، وابن سنان الخفاجي، ومن تابعهما، ذهبوا إلى أن الله سلب من العرب علومهم التي يحتاج إليها في معارضة القرآن والاتيان بمثله، ولو توجّهوا لما استطاعوا أن يأتوا بمثل القرآن. وكلا القولين مردود بأدلة نقلية وعقلية. ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم - دمشق، الطبعة: الثالثة، 1426 هـ - 2005 م، ص: 64.

16/ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 4/ 6.

17 المصدر نفسه، 4/ 7.

18/ الخطيب، الاعجاز في دراسات السابقين،1/ 164.

19/ هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً، له عدة مصنفات منها: (غريب الحديث)، و (معالم السنن في شرح سنن أبي داود)، و (أعلام السنن في شرح البخاري)، و (إصلاح غلط المحدثين)، وغير ذلك، توفي في ربيع الأول سنة (388هـ) بمدينة بست، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 15،14.

20/ ينظر: النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 1426 هـ - 2005 م، ص: 230، 231.

21/ الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله وزميله، مصر، دار المعارف، ط3، 1976م، ص: 23.

22/ هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد، الباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ أشعريا، سكن بغداد، انتهت إليه الرياسة في مذهبه، له تصانيف كثيرة مشهورة في علم الكلام وغيره، توفي سنة (403هـ) ببغداد. ابن خلكان، وفيات الأعيان، 269/4، 270.

23/ ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3/4.

24/ الباقلاني، في إعجاز القرآن، السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، 1997م، ص: 14.

25/ سورة البقرة، الآية 23.

26 إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط5، 1997م، ص: 15.

27/ هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، شيخ العربية، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسن، الشافعي، الأشعري، وكان آية في النحو، توفي سنة (471هـ)، وقيل: (474هـ)، من أهم مصنفاته: (إعجاز القرآن)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 18/ 432، 433.

28 / مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص: 90 ،91.

29/ هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، ومولده في بهتيم (بمنزل والد أمه) عام (1298هـ - 1881م)، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام، من أهم مصنفاته: (تاريخ آداب العرب) جزآن، ثالثهما (إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة)، توفي بطنطا سنة (1356هـ - 1937م)، ينظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - 2002م، 7/ 135.

30/ تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، 2/ 93.

31/ هو محمد بن عبد الله دراز، فقيه، مصري، أزهري، كان أحد هيئة كبار العلماء بالأزهر، من أهم مؤلفاته: (الدين) دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام، وتفسير (النبأ العظيم)، توفي سنة (1377هـ - 1958 م). ينظر: الزركلي، الأعلام، 246/6.

32 / محمد دراز، النبأ العظيم، ص: 133. ينظر: محمد محمود حوا، الأكاديمية العالمية للتأهيل القرآني، مقال بعنوان: عظمة القرآن في القرآن 9/ البيان الأفصح 2 مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم، 17 يوليو 2024م.

33/ محمد دراز، النبأ العظيم، ص: 133. ينظر: محمد محمود حوا، الأكاديمية العالمية للتأهيل القرآني، مقال بعنوان: عظمة القرآن في القرآن 9/ البيان الأفصح 2 مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم، 17 يوليو 2024م.

34/ هو عبد الكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب، ولد في قرية «الصوامعة غرب» التابعة لمركز طهطا بمديرية جرجا بصعيد مصر، من أهم أعماله: أخرج مجموعة من المؤلفات الدينية والأدبية، والمقالات والأحاديث الدينية في مصر والسعودية، من أهم مؤلفاته: التفسير القرآني للقرآن، توفي سنة (1406هـ - 1985م)، الزركلي، الأعلام، 317/1.

ينظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - 2002 م،

35/ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 4/ 3.

36/ عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين: (الكتاب الأول) ، ص: 87.

37/ عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين: (الكتاب الأول) ، ص: 87، 88.

38/ المصدر نفسه، ص: 136.

39/ المصدر نفسه، ص: 138.

40 عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين: (الكتاب الثاني) ، ص: 277.

41 المصدر نفسه، ص: 278.

42 المصدر نفسه، ص: 153.

43/ سورة الكهف، الآية: 109.

44/ هو أبو محمَّد فضل حسن بن أحمد آل عبّاس الصّفوري، ولد بفلسطين، أحد أعلامِ المُعاصرينَ في علومِ القرآنِ، له عدة مؤلفات في التفسير وعلوم القرآن، توفي ودفن بالأردن سنة (1432هـ - 2011م). ينظر: حوار علمي مع الأستاذ الدكتور: فضل حسن عباس، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة اليرموك، مجلة الفرقان - 2044/16م. وينظر: أ. د. فضل حسن عباس، (ت: 1432هـ) سيرته - جهوده في الدراسات القرآنية - الكتابات حوله، ص:7.

45 هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، لشهرته كان يقرن بالغزالي، توفي سنة: (502 هـ - 1108 م)، من أهم كتبه: (المفردات في غريب القرآن) و (حلّ متشابهات القرآن). الزركلي، الأعلام، 2/ 255.

46/ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: 322.

47/ فضل عباس، إعجاز القرآن، ص: 11.

48/ المصدر نفسه، ص: 27.

49/ فضل عباس، إعجاز القرآن، ص: 29.

50/ فضل عباس، إعجاز القرآن، ص: 29.

51/ سورة ص، الآية: 29.

52/ بيان إعجاز القرآن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: 21.

53/ هو القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، أبو محمد، ولي القضاء بغرناطة (529هـ)، من أهم كتبه (المحرر الوجيز في التفسير)، توفي سنة (541هـ) بمدينة لورقة، ينظر: النباهي أبو الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة - بيروت / لبنان - 1403 هـ - 1983 م، ط5، ص: 109.
54/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 - 1422 هـ، 52/1.
55/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 52/1.

56/ الخطيب، الاعجاز في دراسات السابقين، 1/ 165.
57/ من رسائل الجاحظ (الكلامية)، تقديم وشرح: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال – بيروت- 2002 م، 1/ 130، 132.
58/ ينظر: الخطيب، الاعجاز في دراسات السابقين، 1/ 173، 174.
59/ الخطيب، الاعجاز في دراسات السابقين، ص: 182.
60/ بيان إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: 70.
61/ ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم - دمشق، الطبعة: الثالثة، 1426 هـ - 2005 م، ص: 70.
62/ المصدر نفسه، ص: 74.
63/ إعجاز القرآن، ص 151.
64/ الباقلاني، في إعجاز القرآن، السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، 1997م، ص: 14.
65/ بديع الزمان النورسي، ولد بقرية (نورس) شرقي الأناضول بتركيا عام، درس العلوم الكونية الطبيعية، شديد التعلق بالفلسفة والعلوم العقلية، خاض معاركا سياسية مدافعا عن الخلافة والإسلام، إبان حكم السلطان عبدالحميد، من مؤلفاته: (إشارات الإعجاز)، توفي عام (1379هـ - 1960م)، ينظر: عبدالله الطنطاوي، مجلة المنار- العدد 63، شوال – 1423هـ.
66/ النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ص: 2.
67/ الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة - 1425 هـ - 2005 م، ص: 109.
68/ المصدر نفسه، ص 109.
69/ سورة المدثر، من الآية: 24.
70/ سورة الطور، الآية: 15.
71 الرافعي، إعجاز القرآن، ص: 102.
72 مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص: 104.
73/ النبأ العظيم، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة : طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ- 2005م، ص: 133.
74/ المصدر نفسه، ص: 135.
75/ مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص: 105.
76/ الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 74.
77/ الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 203.

78/ المصدر نفسه، 2/ 205.
79/ الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 75، 76.
80/ سورة البقرة، من الآية: 218.
81 سورة الضحى، الآية: 1.
82/ سورة الطارق، الآيات: 1.
83/ الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 206، 207.
84/ المصدر نفسه، 2/ 236.
85/ سورة الشورى، من الآية 52.
86 سورة النحل، من الآية 2.
87/ الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 237، 238.
88/ المصدر نفسه، 2/ 238، 239.
89/ الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 242.
90/ المصدر نفسه، 2/ 279، 280.
91/ المصدر نفسه، 2/ 280.
92/ عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص: 160.
93/ المصدر نفسه، ص: 160.